

مبادئ التحليل الفونولوجي

Principles of phonological analysis

باللطة حمزة ، براهيمى بوداود

¹ جامعة أحمد زبانة- غليزان (الجزائر) ، hamza.belalta@univ-relizane.dz² جامعة أحمد زبانة- غليزان (الجزائر) ، brahimitc@yahoo.fr

تاريخ النشر 2022/04/15	تاريخ القبول 2022/11/15	تاريخ الارسال 2022/08/02
Abstract		الملخص
This study deals with the principles of phonological analysis, by highlighting the most important results achieved by the Prague School linguists in the phonological analysis of the sounds of language, whether it is related to phoneme theory, aspects of its performance, and what falls within it of opposition, cancellation or neutralization, leading to the theory of distinctive features. Within this proposition, we will focus on the most important results achieved by Trubetzkoy and Roman Jakobson through their research on the mechanisms of phonological analysis of language sounds.		تتناول هذه الدراسة مبادئ التحليل الفونولوجي، من خلال تسليط الضوء على أهم النتائج التي حققها لغويو مدرسة براغ في التحليل الفونولوجي لأصوات اللغة، سواء تعلق الأمر بنظرية الفونيم، وأوجه تأديته، وما يندرج ضمنها من تقابل، وإلغاء أو تحييد وصولاً إلى نظرية السمات المميزة . وضمن هذا الطرح سنركز على أهم النتائج التي حققها كل من تروباتسكوي و رومان جاكبسون من خلال بحثهما في آليات التحليل الفونولوجي لأصوات اللغة .
Keywords :phoneme؛ opposition؛ phonological analysis؛ distinctive features.		كلمات مفتاحية: فونيم؛ تقابل؛ تحليل فونولوجي؛ سمات مميزة.

المؤلف المرسل: باللطة حمزة : hamza.belalta@univ-relizane.dz

1. مقدمة:

أسس اللغوي فيلام ماثيسوس (1882م-1946م) مع جماعة من اللغويين التشيك سنة 1926 م نادي أو حلقة براغ اللغوية، الذي أصبح فيما بعد يعرف بمدرسة براغ أو المدرسة الوظيفية، ثم انضم إليهم لاحقا كلا من نيكولاي تروبتسكوي، ورومان جاكسون، وكرسيفسكي سنة 1928 م، وبفضل هؤلاء الثلاثة ذاع صيت المدرسة من خلال تقديمهم لبيان "مبادئ دراسة أصوات اللغة" - حرره رومان جاكسون -، والذي شاركوا به في المؤتمر الدولي للغويين سنة 1928 م ب لاهاي؛ وتميَّز منهجهم الذي أطلقوا عليه اسم الصَّوتيات الوظيفية phonology « بدراسة نظام اللغة الكلي بمستوياته المختلفة النَّحْوِيَّة، والصَّرْفِيَّة، والصَّوْتِيَّة، والدَّلَالِيَّة دراسة وظيفيَّة محضة ¹، « فهم يرون أنَّ اللُّغة نظام من الوظائف، وكلُّ وظيفة نظام من العلامات ²، وبذلك يكون رواد هذه المدرسة قد أرسو معالم أساسية في التحليل الوظيفي للُّغة من خلال معالجة هذه الأخيرة على أساس الوظيفة التي يؤدِّيها كلُّ عنصر في عملية التَّواصل، لأنَّهم يعدُّون اللغة نظاما وظيفيا يؤدِّي كلُّ مكون فيها دورا وظيفيا، ومن هذا المنطلق فصل رواد المدرسة بين مصطلحي الفونولوجيا (la phonologie) والفونتيك (la phonétique)، إذ يرون في الأوَّل عكس ما يرى دي سوسير، فيعتبرونها فرعا من الألسنيَّة يُعنى بوظيفة الظواهر الصَّوْتِيَّة اللُّغويَّة، أمَّا المصطلح الثَّاني فهو جزء من الألسنيَّة ويختصُّ بدراسة الصَّوت في الكلام بغضِّ النَّظر عن وظيفته، وفي هذا الاطار نجد اللغوي أندري مارتيني يؤكِّد هو الآخر على أهميَّة الدِّراسة الوظيفيَّة للغة إذ يقول: « من الطبيعي أن نبدأ دراسة أداة ما كاللُّغة مثلا بدءًا من وظيفتها قبل البحث عن سبب وكيفيَّة تغيُّرها عبر الزَّمن ³».

ومن بين أهمِّ القضايا التي تناولها رُواد المدرسة الفونولوجيَّة: مفهوم الفونيم وأوجه تأديته، ومفهوم التَّقابل، وعلاقته بوظيفة الوحدة الصَّوْتِيَّة، والتَّحليل الفونولوجي لأصوات اللغة، والسَّمات المميِّزة للفونيم، واهتموا أيضا بالبنية الصَّوْتِيَّة للمفردة، كما أنَّهم خاضوا في مجالات عديدة على غرار « الصَّوتيات الوظيفيَّة الآتيَّة، والصَّوتيات الوظيفية التَّاريخية، والتَّحليل الوظيفي والعروضي، وتصنيف التَّضاد الفونولوجي، والأسلوبية اللِّسانية الوظيفية ودراسة الوظيفة الجماليَّة للغة ودورها في الأدب والمجتمع والفنون ⁴»؛ وضمن

هذا الطرح سنحاول الاجابة عن الاشكالية الرئيسة والمتمثلة في: ما هي مبادئ التحليل الفونولوجي عند المدرسة الوظيفية؟، خاصة عند تروبتسكوي وجاكسون؛ وما هو مفهومهم للفونيم، والتَّقابل، والتَّحيد، ونظرية السَّمات المميَّزة؟.

2 . في مفهوم التحليل الفونولوجي:

قبل الحديث عن مفهوم التحليل الفونولوجي يجدر بنا تقديم لمحة عن مفهوم الفونولوجيا؛ حيث نال هذا المصطلح كغيره من المصطلحات التي ترجمت إلى اللغة العربية، اختلافات عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: علم وظائف الأصوات، وعلم الأصوات الوظيفي، وعلم الأصوات التشكيلي، والفونولوجيا، وهي « العلم الذي يدرس الأصوات باعتبارها وحدات ذات وظيفة لغوية، تفرّق بين المعاني، فتميّز بين الدلالات »⁵، كما تهتمّ الفونولوجيا بالبحث عن وظائف الصوت اللغوي في التركيب الصوتي من خلال تركيبها وائتلافها وقوانينها الصوتية والظواهر التي تلحق بها.

يرتكز التحليل الفونولوجي على مجموعة من الأسس منها القطعية كالفونيم والمقطع والمظاهر السَّيَّاقية، ومنها الفوققطعية كالنَّبر والتنغيم والفواصل الصوتية، والتَّغْيِرات الصوتية كالمماثلة والمخالفة، والاعلال والاببدال، والادغام والقلب المكاني والتَّوافق الحركي. كما « يتناول التحليل الفونولوجي أصوات اللُّغة باعتبارها عناصر حاملة لوظيفة لغوية معيّنة، فهو لا يهتمّ بالخصائص النطقية والفيزيائية والسَّمعية للأصوات باعتبارها غاية في حدّ ذاتها، وإنَّما يعتبرها مجرد وسيلة لتحديد دور الصوت اللغوي في عملية التَّبليغ ومدى تأثيره في المتلقّي »⁶.

ويقوم - التحليل الفونولوجي - عند مدرسة براغ على تتبُّع الملامح التَّمييزية، حيث أنّه لا تهمُّهم الخصائص الصوتية المادية بقدر ما تهمُّهم الصِّفَات والسَّمات التَّمييزية التي تتميّز بها الوحدات الصوتية عن بعضها البعض، وعُرف عند براغ بالوظيفة المميَّزة وارتبط بفكرة نظام التَّقابل، حيث يقوم هذا الأخير - التَّقابل الفونولوجي - بين الفونيمات على مستوى المخارج والصِّفَات كما أنّه يُبنى على القيمة الإيجابية (positive value) أو السلبية (négative value) للفونيم « وهما قيمتان تحدّدان بناءً على

مجموع الصّفات الدّاتية التي تميّز كلّ حرف عن غيره من الحروف، فيكتسب القيمة الأولى بحضور هذه الصّفات أو واحدة منها على الأقل، والقيمة الثّانية بغياها»⁷.

3 . في مفهوم الفونيم :

يعد مصطلح الفونيم - منذ ظهوره في نهاية القرن الثامن عشر 18 م - انجازا علميا عظيما في مجال دراسة اللغة، رغم اختلاف اللغويين حوله كثيرا، الأمر الذي خلق تعدّدا في المفاهيم بتعدّد النظريّات اللغويّة التي تناولت نظرية الفونيم، ليصبح فيما بعد من بين أهمّ الركائز التي يقوم عليها التّحليل الفونولوجي عند مدرسة براغ، حيث عرفه ترويتسكوي بأنّه « أولا وقبل كلّ شيء مفهوم وظيفي، وهو كذلك الوحدة الفونولوجية التي لا تقبل التّجزئ إلى وحدات فونولوجية أخرى أصغر منها في لغة معيّنة »⁸؛ كما يرى « أنّ تلك الوحدات الفونولوجية التي لا يمكن ضمن إطار لغة ما تحليلها إلى وحدات متتابعة أصغر منها تسمى الفونيمات »⁹، بينما يعرفه جاكسون بأنّه « مجموع أو حزمة (set أو bundle) من الصّفات المميّزة، أو العناصر التّفاضليّة على حدّ تعبير سوسير »¹⁰ ويقول أيضا «الفونيم صوت ذو قيم خلافيه »¹¹ على أساس سماته التّمييزيّة بمعنى أنّ الفونيمات يمكن أن تتطابق فيما بينها في بعض السّمات وتختلف في البعض الآخر؛ ومن المرجح أن هذا ما أوحى لجاكسون بنظرية السّمات التّمييزيّة، تلك النظريّة التي أصبحت فيما بعد من المعالم الرّئيسة في التّحليل الفونولوجي لدى مدرسة براغ، حيث « تقوم هذه النظريّة على أساس أن ثمة تطابقا بين أكثر السّمات في الأصوات المتناظرة وأنّ ثمة اختلافا في سمة واحدة بين كلّ صوتين متناظرين »¹².

إذا لقد حدّد الوظيفيون مفهومهم للفونيم انطلاقا من الوظيفة المنوطة به ألا وهي التّمييز بين المعاني، فهم يرون أنه يؤدي وظيفتين إما إيجابا من خلال استبدال فونيم بآخر، مما ينجّر عنه تغييرا في معنى الكلمة بتغيّر الفونيم، أو سلبا بعدم حدوث التّغير على مستوى المعنى، لذلك يمكننا التّأكيد على الدّور الكبير الذي يلعبه الفونيم في توضيح معنى أي مفردة، ويقسّم اللغويون الفونيم إلى نوعين:

أ - فونيمات قطعية :

وتشمل الصَّوامت والصَّوائت ويختلف عددها من لغة إلى أخرى، يُطلق عليها الفونيمات التَّركيبية ويدعوها البعض بالفونيمات الخطئية والبعض الآخر بالفونيمات الأوَّلية وأيضاً الفونيمات الرئيسة ... إلخ، وهي عند أحمد مومن « أصغر وحدة صوتية متمثلة في أحد الصوامت أو الصوائت التي نتلفظ بها »¹³ وهي في العربية أربعة وثلاثين فونيماً تركيبياً موزعة على 26 حرفاً هجائياً، و3 صوائت قصيرة (الفتحة، الضمة، الكسرة)، و3 صوائت طويلة (الألف، الياء، الواو)، بالإضافة للواو والياء باعتبارهما أنصاف صوائت.

ب - فونيمات فوققطعية :

«لها عند اللغويين أسماء عديدة، فالبعض فوتركيبية أو فوق تركيبية مقارنة بالفونيمات التَّركيبية»¹⁴، كما يطلق عليها أيضاً بالفونيمات التَّطريزية، أو الفونيمات البروسودية، وتشمل التَّبر، والتَّنعيم، والفواصل.

4 . التَّقابلات الصوتية و أنواعها :

يقوم التَّحليل الفونولوجي عند مدرسة براغ على مبدأ التَّباين أو التَّقابل (opposition) الفونولوجي حيث يعدُّ - التَّقابل - عندهم مفهوماً بالغ الأهمية لأنَّه أساس التَّحليل الصَّوتي؛ إذ يرى تروبتسكوي « أنَّ المنظومة الصَّوتية لأية لغة، ما هي إلا نتيجة طبيعية لنظام التَّقابلات »¹⁵، ويتحقَّق التَّقابل حينما يتمُّ استبدال صوت بصوت آخر ويؤدِّي هذا إلى تغيير المعنى فنقول أنَّ التَّقابل قد حدث، « فكلُّ تضادٍّ فونولوجي بين صوتين مختلفين، يمكن أن يميِّز بين معانٍ فكرية في لغة معينة »¹⁶ ونمثِّل لذلك في اللُّغة العربيَّة بالمثال التَّالي:

إذا تمَّ استبدال حرف الصَّاد بحرف السَّين في كلمة (سار) تصبح (صار) وأيضاً إذا أخذنا كلمة قام واستبدلنا حرف القاف بحرف الصَّاد أو بحرف اللام أو بحرف النون ، تصبح على التَّوالي (صام، لام، نام) وكلُّ مفردة لها مدلول خاص بها في اللُّغة العربيَّة .

أكد تروبتسكوي على وجود نظام التّقابل وجعله أساس التّحليل الفونولوجي قائلا: « إنّ الدّور الأساس في الفونولوجيا لا يأتي من الوحدات الصّوتية في ذاتها ، ولكن من التّقابلات المميزة »¹⁷؛ والتّقابل يعني على الأقل وجود سمة (trait) واحدة أو أكثر تتميز بها وحدة صوتية دون الوحدات الأخرى، وهذا لا ينفي عدم وجود سمات مشتركة بين الوحدات المتقابلة، فالسمات المشتركة هي أساس المقارنة فإذا انعدم هذا الأساس بين كلّ وحدتين غاب التّقابل بينهما، وهذا ما يؤكّده تروبتسكوي قائلا: « إنّ فكرة الفرق تستلزم فكرة التّقابل، إن شيئين لا يمكنهما أن يفترقا إلا في حدود أن كلا منهما يقابل الآخر »¹⁸، فكلّ تقابل بين وحدتين مختلفتين نتج عنه تغيير معاني الكلمات في لغة معينة يسمى بالتّقابل الفونولوجي.

حدّد تروبتسكوي في كتابه (مبادئ الفونولوجيا) ثلاثة قواعد لتسهيل عملية التّمييز بين

الفونيمات وبين ما هو تأدية لها فقط وهي كالآتي:

أ - القاعدة الأولى : « إذا جاء صوتان مختلفان من نفس اللّغة في سياق واحد من الحروف، لا فرق بينهما ويمكن مع ذلك استبدال أحدهما من الآخر دون أن يحصل أي تغيير في المعنى المفهوم من الكلمة فهذان الصّوتان هما وجهان اختياريان لفونيم واحد »¹⁹؛ وقدّم مثالا عن نطق فونيم (R) في اللغة الألمانية بحيث ينطق لهويا في منطقة ولثويا في منطقة أخرى؛ بينما ينطق (R) عند بعض الفرنسيين مثل الرّاء العربية وعند البعض الآخر مثل الغين العربية، فهما صوتان مختلفان لحرف واحد دون تغيير المعنى في حال استبدال أحدهما بالآخر.

أما في اللغة العربية فنمثل لها بنطق الحرف (ق) في كلمة (قمر) الذي ينطق صوتا (حنجريا، انفجاريا، مجهورا) في لهجة القاهرة، بينما ينطق كصوت (أقصى - حنكي، انفجاريا، مجهور) عند أهل العراق والكويت .

ب - القاعدة الثانية : « إذا جاء صوتان في نفس الموقع الصوتي ولا يمكن أن يستبدل أحدهما بالآخر دون أن يتغير معنى الكلم أو دون أن تصبح الكلمة معروفة، فهذان الصّوتان هما تأديتان لفونيمين اثنين مختلفين، أي هناك صوتان مختلفان مثل السّابق لكنهما يمثلان حرفين مختلفين مع ذلك لتغير المعنى

بهما»²⁰، وتمثل لذلك في اللغة العربية بحرفي (الراء و الغين) فهما صوتان مختلفان وحرفان مختلفان حيث يتغير معنى المفردة حالما نستبدل أحدهما بالآخر مثل: راب، غاب / ريب، غيب، إذا فهما فونيمان مختلفان في اللغة العربية، بينما على العكس في اللغة الفرنسية .

ج - القاعدة الثالثة : « إذا كان صوتان متقاربان مخرجاً أو صوتياً لا يقعان أبداً في نفس السياق من الحروف فهما تأديتان تركيبيتان لفونيم واحد »²¹، حيث أنّ الوحدات الصوتية قد تختلف تأديتها عند مجاورتها لبعض الحروف، وتمثل لذلك بأصوات الحركات في اللغة العربية عند مجاورتها للحروف المفخمة وهي (أصوات الاستعلاء السبعة : ص، ض، ط، ظ، ق، غ، خ) فيصير الصوت مفخماً، بينما يصبح مرققاً عند مجاورته للحروف المرققة، ورغم ذلك لا يتغير المعنى لأنه نتج عن تركيب الأصوات فتأثر بعضها ببعض نتيجة للتجاور فيما بينها؛ لهذا يرى كمال بشر أنّ الصّوائت تابعة للصّوامت فهي « لا توصف بتفخيم أو ترقيق بذاتها، إنّما يعود تفخيمها وترقيقها إلى السياق وهذا ينطبق بتمامه على الحركات، الفتحة والكسرة والضمة، سواء أكانت قصيرة هذه الحركات أم طويلة »²².

انطلاقاً مما سبق ذكره من قواعد يلاحظ أن تروبتسكوي يؤكّد على الطّبيعة الوظيفيّة للفونيم، من خلال قدرة هذا الأخير على تمييز معنى الكلمة عن غيرها ضمن إطار نظام صوتيّ معيّن، كما أنّه لم يغفل عن طرح قضية الوجوه الأدائية للفونيم .

5. أنواع المتقابلات الفونولوجية :

« حدّدت مدرسة براغ مجموعة من المتقابلات الإستبدالية التي أثبتت فعاليتها في التحليل الصّوائتي البنوي، باعتبارها بالنسبة إلى تروبتسكوي تساعد على تحديد الوحدات الصّوتية (الفونيمات) »²³ ، حيث تطرّق إليها في كتابه (مبادئ الفونولوجيا) من خلال تقسيمه المتقابلات إلى ثلاثة أنواع، حيث يختصّ النوع الأوّل والثّاني بالنّظام الفونولوجي ككل، بينما يختصّ النوع الثّالث بالفونيم في حدّ ذاته فقط وهي كالآتي:

1. بحسب علاقتها بجميع التقابلات الموجودة في النظام الصوتي : ونجد فيها :

1.1. - تقابل ذي طرفين (bilatéral) أو التقابلات الشائية (oppositions bilatérales)

(bilatérales) وهي أكثر شيوعا في نظر تروبتسكوي، حيث « تتعلق بزوجين صوتيين، حيث تشترك بعض الأزواج الصوتية في أكبر عدد ممكن من السمات مقارنة مع غيرها من الأزواج الصوتية »²⁴ الأخرى، وذلك مثل التّضاد الموجود بين « K / G في الفرنسية والانكليزية إذ يشتركان في المخرج وهو مؤخر أو وسط الحنك ولا يوجد أي حرف آخر من هذا المخرج في هاتين اللغتين، وتقابلهما يحصل بالجر من عدمه »²⁵، بينما نجد في اللغة العربية « التّضاد الموجود بين ك/خ حيث يشتركان في السمات التالية : +فمي، طبقي،+ مهموس »²⁶ بينما تنفرد كل من م / ن / بالاشتراك في الغنة فقط ويتقابلان في المخرج (شفوي / نطعي).

2.1- تقابل متعدّد الأطراف (multilatéral opposition) :

يوجد هذا التقابل بعدد قليل مقارنة بالتقابل ذي الطرفين، و« هو الذي يكون قدره المشترك موجودا في أكثر من حرفين وذلك P/K في الفرنسية والانكليزية لأنه يشتركان مع T مثلا في الهمس »²⁷ بينما تشترك الذال والثاء في اللّثوية ضمن اللغتين العربية والانكليزية .

2 . بحسب تناسبها فيما بينها وعدم تناسبها : وتنقسم إلى :

1. 2- متقابلات متناسبة (proportionnelles) :

« إذا تكرر الفارق بين تقابل وآخر حصل تناسب وذلك مثل : z/s, g/k ، d/t, b/p في الفرنسية والانكليزية والجامع بينهما هو الاختلاف جهر / همس، إذا يشترك المتقابلان في فارق واحد »²⁸.

2. 2 - متقابلات لا تناسب بينها (oppositions isolées) :

« إذا انفرد التّقابل وليس بينه وبين أي تقابل آخر تناسب وذلك مثل : p /g, b/z, p/l ، وغيرها فكلّ هذه المتقابلات منفردة لا تناسبها تقابلات أخرى في الكثير من اللغات »²⁹ أي هي التي لا تخضع لنموذج مشترك.

3 . بحسب العلاقات القائمة بين طرفي التّقابل :

يخصّ الفونيم في حدّ ذاته من خلال تقابله مع غيره من الفونيمات، وينقسم إلى ثلاثة أقسام هي كالآتي:

1.3 - التّقابل المانع أو (السّليبي ، أو الحارم) (**privatif opposition**) :

« يقوم على وجود صفة مميزة في طرف وعدم وجودها في الطرف الآخر، كالجهر وعدمه في الدّالّ والتّاء، والغنة وعدمها في الميم والباء والاطباق وعدمه في الصّاد والسّين وغيرها »³⁰، إذا يقتضي هذا النّوع وجود اتّفاق بين الحرفين على أن يتميّز أحدهما بوجود الصّفة وعدمها في الطّرف المقابل.

2.3 - التّقابل المتدرّج (**gradual opposition**) :

يقوم هذا النوع على الزّيادة والتّقصان في الصّفة نفسها نحو التّقابل الحاصل بين المصوّتات التّالية (u-o-a-à) حيث يحدث التّدرّج « من الفتح التّام إلى الفتح المفخّم إلى الضّمّ المفخّم إلى الضّمّ المرقّق »³¹، وتعدّ هذه المصوّتات فونيمات في اللّغة الفرنسيّة، وكمثال آخر نجد « التّدرّج المتسلسل في: - (i-e-εa) (الفتحة المحضة - الفتحة الممالّة إمالة خفيفة - الفتحة الممالّة إمالة شديدة - الكسرة المحضة)، [وفي اللّغة العربيّة يوجد] تقابل بالزّيادة في الانفتاح من الكسر إلى الفتح، وبالتّقصان من الفتح إلى الكسر، فالفارق بينهما متدرّج من الانفتاح التّام إلى الانغلاق الأقصى والعكس »³².

3.3 - التّقابل المنفصل (المتعادل أو المتكافئ) (**disjoint opposition**) :

كلّ فونيم يستقلّ عن جميع المتقابلات الأخرى، « بحيث يكون لكلّ عنصر في التّقابل سمة مميزة لا توجد في العنصر الآخر ولكن هذه السمة لا تعطيه أي امتياز للوحدة المستبدلة كالتّقابل الصوّيّ بين (p-t-k) وبين (م - ع) وبين (ب ، خ) »³³؛ وفي اللّغة الانكليزية إذا لاحظنا الفونيمين: (t - p) سنجد ملمحا يوجد في الفونيم p لا يوجد في الفونيم t، فالأوّل صوت شفتاني بينما الثّاني مخرجه من اللّثة واللسان، وبين (k-f) نجد أنّ كلّ طرف مستقلّ عن الآخر. بينما في اللّغة العربيّة نأخذ مثال:

(ك - ق) فنلاحظ وجود اختلاف في المخرج بينهما حيث أن الكاف مخرجه من أقصى الحنك بينما القاف من اللّهاة، لكن نلمس توافق في الصّفة بينهما فكلاهما صوت انفجاري مهموس، لذا نقول أنّ هناك توافق وتعادل في الصّفة.

6. مبدأ الإلغاء أو التّحييد (Neutralisation) :

يعدّ هذا المصطلح من بين المصطلحات الجديدة التي وظّفها مدرسة براغ، حيث انفرد تروبتسكوي بكونه أوّل من استعمل المصطلح سنة 1931 م، ويقصد بالتّحييد توقّف الوظيفة التّمييزيّة الفارقة بين وحدتين صوتيّتين بينهما تقابل في النّظام الصوتي في سياق معيّن، أي يمكن أن يزول التّقابل بين بعض المتقابلات إذا وقع أحد الحرفين في مواضع معيّنة، ونتيجة لذلك تختلف كيفية أداء الحرف الناتج فينتج ما يسمّى بـ " الفونيم الجامع " (archi-phonème) الذي يولّد نوعاً من الانسجام الصوتي من خلال الجمع بين خصائص الحرفين المتقابلين، بحيث يفقد الحرف الأوّل بعض صفاته ويكتسب في المقابل صفات أخرى، أو حدوث العكس مع انحرافه عن مخرجه الأصلي المعتمد نتيجة لحدوث تفاعل بين الأصوات فيما بينهما؛ كما يرى تروبتسكوي أن موقع التّحييد يختلف من لغة إلى أخرى، بحيث يمكن حدوثه في وسط أو نهاية المفردة حسب خصوصية كلّ لغة .

7 . أنواع الإلغاء:

يميز تروبتسكوي في كتابه المبادئ « بين أنواع الإلغاء التي يسببها السّياق وبين التي تسببها بنية الكلمة، أي بين الإلغاء لتقابل فونولوجي يقع طرفاه في جوار حروف معيّنة، أو بمعزل عن الحروف المجاورة لها، أي في مواقع معيّنة في داخل الكلمة »³⁴. ونقسّم الإلغاء المسبّب بالسّياق إلى نوعين: تبعيديّة، وتقريبية حيث يقول في ذلك : « نقسّم أنواع الإلغاء المسبّب بالسّياق إلى تبعيديّة (dissimilatifs)، وتقريبية (assimilatifs) وهذا بحسب ما يحصل من التّباعد أو التّمائل بالنّسبة إلى الصّفة المميّزة لخاصيّة صوتيّة معيّنة فلا بدّ بحصول الإلغاء التّبعيديّ أن يتّصف الحرف المجاور بهذه الصّفة، وأما الإلغاء التّمثيليّ فلا يحصل على العكس إلا في جوار الحروف التي تنقصها هذه الصّفة »³⁵.

أما الإلغاء الذي يكون سببه الجوار المؤدّي إلى اتّحاد الحرفين أو اختلافهما، فهو كثير الحدوث خاصة في اللّغة العربيّة، وهذا ما لم يغفل عنه علماء لغة الضّاد منذ القدم، ومثال ذلك التّقابل الموجود بين (الطّاء والتّاء) ما يجعلهما عرضة لحدوث الإلغاء في مواقع معينة مثل: ابدال (التّاء، دالا) في ازدجر، أو ابدال (التّاء، طاء) في اضطرّد، واصطبر، واضطرب، أي إذا وقعت تاء الأفعال بعد (الطّاء، الظّاء، الصّاد، الضّاد)، ويرجع سبب هذا الإبدال إلى حدوث تقارب بين (التّاء، الدّال) في المثال الأوّل، وبين (التّاء، الطّاء، والصّاد، والضّاد) في المثال الثّاني حتّى يزول الفارق بين الحرفين المتقاربين.

8 . الخصائص المميّزة :

بعد أن وُفّق تروبتسكوي في تصنيف الوحدات الصّوتيّة استناداً إلى مبدأ التّقابل، سعى جاهداً للبحث عن كينيّة لتحليل الوحدات الصّوتيّة على أساس " الخصائص المميّزة للأصوات " (distinctive properties of phonemes) لتشكّل هذه الفكرة فيما بعد، جوهر نظريّة الملامح المميّزة لمن سيأتي بعده من اللغويين، حيث استطاع من خلال دراسته لعدد معتبر من لغات العالم أن يتوصّل إلى تقديم وصف عام لنظامها الفونولوجي عن طريق التّقابلات الصّوتيّة ضمن تلك الأنظمة، فمكّنه ذلك من تحديد الخصائص المميّزة للأصوات، مستخلصاً الملامح المتقاربة التي تمكّنا من وصف الحركات والسّواكن مصنّفًا إيّاها إلى صنفين اثنين وهي كالآتي: ³⁶

أ - الخصائص النطقية للحركات :

لقد قسّم تروبتسكوي هذا النّوع إلى ثلاثة فئات هي :

أ - 1 . تقابلات مبنية على أساس النّوعيّة : وتضمّ الآليات التالية :

- وضعية اللسان ودرجة انفتاحه .

- الجرس ويشمل وضع الشفتين، والموضع (أمامي أو خلفي) .

أ - 2 / تقابلات مبنية على أساس اختلاف غرفة الرّنين : وتضمّ الآتي :

- حركة أنفية / حركة غير أنفية .

- حركة مفخمة / حركة غير مفخمة .

أ - 3 / تقابلات بروسودية : (prosodic opposition) وتشمل كلا من :

- شدّة الصّوت (intensity) : حركة منبورة / حركة غير منبورة

- كمّيّة الصّوت : حركة طويلة / حركة قصيرة .

- درجة الصّوت (pitch) . وطبقة الصوت (register).

- التّنعيم (intonation) . وحركة النغمات .

نستخلص من التّصنيف الذي وضعه تروبتسكوي حول الحركة أن هذه الأخيرة يمكن أن تمسّها

عدد من العمليات النطقية المختلفة بحيث يلعب اللسان دوراً محورياً فيها، فكلما كان تحريك اللسان عالياً نحو سقف الفم كانت الحركة ضيقة ومثال ذلك: نطق الكسرة أو الياء في العربية، وإذا حصل العكس أي من الأعلى نحو الأسفل سيحدث اتساعاً يعطينا حركة منفتحة في مثال نطق الفتحة والألف .

لقد لاحظ تروبتسكوي أنّ اللغة العربية توظف درجتين فقط بخصوص درجة الانفتاح كما وضعنا

في الأمثلة السابقة، فالفتحة حركة منفتحة بينما الكسرة حركة ضيقة، كما توصّل إلى أنّ لكل حركة طول خاص بها، ومكان نطق معين من اللسان إمّا الجزء الأمامي أو الأوسط أو الخلفي، كما أنّه تتميز كل حركة بقوة نطق معينة وهذا ما يحصل عنه النبر، ولكل حركة نغمة خاصة ضمن اللغات النغمية، وبخصوص نظام الحركات لاحظ استخدام العربية لفئة واحدة، ألا وهي التّقابل بين الحركة الأمامية والحركة الخلفية فقط.

أما بخصوص الجرس فتوصل إلى إمكانية وجود ثمانية فئات في بعض اللّغات وفي أخرى أربعة فقط،

وهي انطلاقاً من التّقابلات التّالية :

مستديرة / غير مستديرة، أمامية / خلفية، أمامية مستديرة / خلفية مستديرة، أمامية غير مستديرة / خلفية غير مستديرة .

ب - الخصائص النطقية للسواكن : أحصى تروبتسكوي أربعة أنواع من التّقابلات:

ب - 1 . تقابلات تتعلق بمخرج الصوت .

ب - 2 . تقابلات تتعلق بطريقة نطق الصوت، أي صفة الصوت، بحيث تتحكم فيها :
الحبال الصوتية، وضعية اللسان، درجات التَّحَكُّم في خروج الهواء، وضعية الغضاريف وعضلات الحنجرة،
حيث توصَّل لوضع التَّقابلات التَّالية :

الجر، نفسي / غير نفسي، مهموس / غير مهموس، درجة انحباس الصوت.

ب - 3 . تقابلات تتعلَّق بالجرس، ونجد فيها :

مفخم / غير مفخم، محنك / غير محنك، مستدير / غير مستدير، أسناني / انقلابي .

ب - 4 . تقابلات تتعلَّق بالشدَّة :

شديد / رخو، قوي / ضعيف، طويل / قصير، مشدَّد / غير مشدَّد، مضغوط / غير مضغوط .

9 . نظرية السَّمات المميِّزة عند رومان جاكبسون :

قدَّم جاكبسون دفعة قويَّة للدراسة الفونولوجية من خلال الأفكار الَّتِي طرحها، ففي مؤلَّفه "مبادئ اللسانيات العامة" أعطى أهميَّة كبيرة لدراسة الخصائص المشتركة بين الأنظمة اللسانية في المجال الفونولوجي بعد أن تَبَّعها بالملاحظة، والتَّدقيق فتوصَّل إلى حصرها وضبطها وفق نظام التَّقابل فيما بينها، كما أنَّه عمل على تطوير فكرة الخصائص المميِّزة، وعلى الأُرجح أنَّ القيم الخلافيَّة للأصوات هي من أوحى له بنظرية السَّمات المتمايزة distinctive features؛ و« تقوم هذه النَّظرية على أساس مؤدَّاه أنَّ ثَمَّة تطابق بين أكثر السَّمات في الأصوات المتناظرة، وأنَّ ثَمَّة اختلافا في سمة واحدة بين كلِّ صوتين متناظرين»³⁷؛ وتجلَّى نظرية السَّمات المتمايزة عند جاكبسون من خلال مقابلة فونيم بآخر، ما ينتج عنه بروز السَّمات المميِّزة لكليهما، فالتمييز الوظيفيَّ عنده لا يحدث بمجرد استبدال فونيم بآخر فحسب، بل يحدث بفضل السَّمات التَّمييزيَّة الخاصة، وهي حسب رأيه أصغر من الفونيم إذ يرى فيه مجموع السَّمات المميِّزة النَّابعة من الخصائص النَّطقيَّة، والسَّمعيَّة المحدَّدة لكلِّ صوت من أصوات اللُّغة، وتلك السَّمات هي

المسؤولة عن الوظيفة التمييزية التي ينفرد بها الفونيم ويدخل من خلالها في علاقات تقابل مع غيره من الفونيمات .

لجأ رومان جاكسون في دراسته الصوتية لاستعمال الأجهزة والآلات لكي يثبت الملامح المميزة للفونيم، معتمدا في ذلك على الوصف السمعي القائم على خصائص الموجات الصوتية؛ « وعليه بنى نظريته الفونولوجية على مبدأ الازدواجية أو الثنائية التي تحدث نتيجة لتقلبات صوتية معينة إذا وجدت فالوحدة الصوتية معلّمة وإذا غابت فهي غير معلّمة »³⁸ .

أما بخصوص التّقابل، فنجد أنه يميّز بين ثلاثة أنواع من الثنائيات المتقابلة التي وضعها على أساس ملاحظته (للمخرج، وطريقة النطق، ووضع الوترين الصوتيين) وهي كالآتي :

1- « التّقابل بين السّواكن الخلفية (طبقيّة أو غارية)، والسّواكن الأماميّة (شفوية أو أسنانية) .

2- التّقابل بين الصّوت الرزين (grave) والصّوت الحاد (acute) .

3- التّقابل بين السّواكن ذات النّغمة العالية، والسّواكن الرخيمة ذات النّغمة الحادّة »³⁹ .

أصرّ جاكسون على أنّ كلّ سمة تمايزيّة هي ثنائية، حيث « بيّن في كتابه " مقدّمة في تحليل الكلام " أنّ ثمة نظاما فونولوجيا كلّيا يتضمّن اثنتي عشرة سمة مميّزة تتّصف بها كلّ اللّغات الانسانيّة ومن بين هذه السّمات : (صائت / صامت)، (مجهور / مهموس) ، (زفيري / شهيق) ، (أنفي / شفهي) ، (غليظ / حاد) ، (رخو / شديد) ، (مزيد / غير مزيد) ، (مكثّف / منفّش) ... إلخ.] كما أنّه عمل على تحليل الفونيمات إلى سماتها المكوّنة لها، عوض النّظر في كينيّة توسيعها ضمن الوحدات المفرداتيّة المختلفة »⁴⁰ والتي يقصد بها مجموع الخصائص الصوتيّة التي تميّز فونيمًا عن آخر، حيث يرى أن الملامح المميّزة هي أصغر الوحدات المميّزة في اللّغة إذ لا يمكن تجزئتها إلى وحدات لغويّة أصغر منها، وهو بذلك يميّز بين نوعين من السّمات :

1 - سمات جوهرية أو ملازمة (traits intrinsèques) : تلازم الفونيم لأنّها جوهره، ويحدث

التّقابل بينها بوجود الملمح (موسوم) أو بعدم وجوده (غير موسوم) .

2 - سمات فوق- قطعية (traits prosodiques) أو التَّطْرِيزِيَّة : تصاحب الفونيم وتشمل سمات التَّبر و التَّنْغيم .

10 . خاتمة:

حاولنا من خلال هذا البحث، تسليط الضوء على أهم الأفكار التي طرحها لسانيو المدرسة الوظيفية في مجال الدِّراسات الصَّوتِيَّة، من خلال سعيهم الحثيث للبحث عن وظيفة الأصوات وتحليلها، حيث نجح هؤلاء في تحقيق نتائج باهرة ضمن ما يعرف بالصَّوتِيَّات الوظيفِيَّة؛ ومن خلال ما سبق طرحه يمكننا أن نقف على جملة من التَّائج التي نبرزها في التَّقِاط الآتية :

- أحدث رواد مدرسة براغ قفزة نوعِيَّة في الدِّراسة الوظيفِيَّة لِلْغَّة، بعد أن فصلوا بين الفونتيك والفونولوجيا، وبعد نجاحهم في تقديم آليات مهمَّة وفعالة لتحليل الصَّوت اللُّغويِّ تحليلاً فونولوجياً ضمن علم الأصوات الوظيفي.

- يعتبر لسانيو مدرسة براغ اللُّغة نظاماً من الوظائف وكلُّ مكوّن فيها يؤدّي دوراً وظيفياً؛ لذا كان مفهومهم للفونيم وظيفياً أيضاً.

- تقوم نظريَّة التَّحليل الفونولوجي عندهم على مبدأ التَّقابل بين الفونيمات.

- فرَّق تروبتسكوي بين الفونيم وأوجه تأديته؛ ونجح في إدراج مصطلحات جديدة في الدِّراسة الصَّوتِيَّة كالَّتَقَابِل والتَّحْيِيد أو الإلْغَاء، بالإضافة لذلك ميَّز بين نوعين من الإلْغَاء حيث يتعلَّق الأوَّل ببنية المفردة أمَّا الثَّاني فبالسِّيَاق، والذي ينقسم بدوره - أي النَّوع الثاني - إلى إلْغَاء تبعيدي وإلْغَاء تقريبي.

- عمل لغويو براغ على تتبُّع الملامح التَّمييزِيَّة للفونيم، فتوصَّلو إلى وضع نظرية الملامح أو السَّمات التَّمييزِيَّة ، والتي كان لجاكسون كلَّ الفضل في تطويرها .

- نجح رومان جاكسون في وضع نظام من الثنائيات المتقابلة، حيث أحصى هذا الأخير اثنتي عشرة تقابلاً يمكن تطبيقها على الكثير من اللغات بنسب متفاوتة .

- فرّق رواد المدرسة بين الفونيمات الأساسية والثّانوية وأكّدوا على وجود تكامل بينهما في توضيح المعاني، كما أنّهم اهتموا بالفونيمات التّطريزيّة لأنّها تؤدّي وظيفة في المعنى.

الهوامش :

- 1 - أحمد مومن . اللسانيات النشأة والتطور . 2005 م. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط 2. ص 136.
- 2 - المرجع نفسه ، ص 136 .
- 3 - المرجع نفسه ، ص 116.
- 4 - المرجع نفسه ، ص 136.
- 5 - عبد العزيز أحمد علام ، علم الصوتيات ، 2009م ، مكتبة الرشد، الرياض ، د ط ، ص 47 .
- 6 - محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة د ت ، دار قباء ، القاهرة ، د ط ، ص 36 .
- 7 - عبد الرحمن حاج صالح ، بحوث ودراسات في علوم اللسان . 2012 م. موفم للنشر . الرغبة الجزائر. ص 155 - ص 156 .
- 8 - أحمد مومن . اللسانيات النشأة و التطور . مرجع سابق . ص 142.
- 9 - Nicolai Trubetzkoy ، University of California ، principles of phonology . éd. 1962 . p35 . press.english .
- 10 - عبد الرحمن حاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ج 2 ، 2012 م. الرغبة الجزائر. ص 242.
- 11 - سمير شريف استيتية ، اللسانيات المجال و الوظيفة و المنهج 2008م ، عالم الكتب الحديث ، إريد ، الأردن ، ط 2 ، ص 71.
- 12 - المرجع السابق ، ص 72 .
- 13 - المرجع نفسه ، ص 184 .
- 14 - محمد علي الخولي ، الأصوات اللغوية والنظام الصوتي للغة العربية ، 1990م ، دار الفلاح ، عمان ، ط 1، ص 63.
- 15 - Trubetzkoy Nicolai ، principles of phonology . p67.
- 16 - أحمد مومن ، اللسانيات النشأة و التطور ، ص 143.
- 17 - مصطفى غلفان ، في اللسانيات العامة . تاريخها . موضوعها . مفاهيمها . 2010م ، دار الكتاب المتحدة ، ط 1، ص 268 .
- 18 - نفسه ، ص 269 .
- 19 - عبد الرحمن حاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج 2 ، ص 244.
- 20 - نفسه ، ص 245.

- 21 - نفسه ، 245 .
- 22 - محمد كمال بشر، علم الأصوات ، 2000م ، دار غريب القاهرة ، د ط ، ص 409.
- 23 - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة . تاريخها . موضوعها . مفاهيمها ، ص 270 .
- 24 - نفسه ، ص 270 .
- 25 - عبد الرحمن حاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج 2 ، ص 247 .
- 26 - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة . تاريخها . موضوعها . مفاهيمها ، ص 270 .
- 27 - المرجع السابق، ص 247.
- 28 - عبد الرحمن حاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج 2 ، ص 247.
- 29 - نفسه ، ص 248 .
- 30 - نفسه، ص 249 .
- 31 - نفسه ، ص 249 .
- 32 - نفسه ، ص 249 .
- 33 - مصطفى غلفان ، في اللسانيات العامة تاريخها ، موضوعها ، مفاهيمها ، ص 270 .
- 34- 247p.principes of phonology . Nicolai Trubetzkoy
- 35 - عبد الرحمن حاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج 2 ، ص 252.
- 36- 95-165. principes of phonology .p, Nicolai Trubetzkoy
- 37 - سمير شريف استيتية ، اللسانيات المجال و الوظيفة و المنهج ، ص 72 .
- 38 - بوقرة نعمان ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، 2006م ، منشورات جامعة باجي مختار ، عنابة ، د ط ، ص 108 .
- 39 - عمر أحمد مختار ، دراسة الصوت اللغوي ، 1997 م ، عالم الكتب ، القاهرة ، د ط ، ص 193 .
- 40 - أحمد مومن ، اللسانيات النشأة و التطور ، ص 148.

قائمة المصادر والمراجع :

- 1- أحمد مومن . اللسانيات النشأة والتطور . 2005 م. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط 2.
- 2- بوقرة نعمان ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، 2006 م ، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة ، د ط .
- 3- محمد كمال بشر، علم الأصوات ، 2000م ، دار غريب القاهرة ، د ط .

- 4- محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة د ت ، دار قباء ، القاهرة ، د ط .
- 5- محمد علي الخولي ، الأصوات اللغوية والنظام الصوتي للغة العربية، 1990م ، دار الفلاح ، عمان ط1.
- 6- مصطفى غلفان ، في اللسانيات العامة . تاريخها . موضوعها . مفاهيمها . 2010م ، دار الكتاب المتحدة ، ط1.
- 7- عبد العزيز أحمد علام ، علم الصوتيات ، 2009م ، مكتبة الرشد، الرياض ، د ط .
- 8- عبد الرحمن حاج صالح ، بحوث ودراسات في علوم اللسان . 2012م . موفم للنشر . الرغبة الجزائر.
- 9- عبد الرحمن حاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ج2 ، 2012م . الرغبة الجزائر.
- 10- عمر أحمد مختار ، دراسة الصوت اللغوي ، 1997م ، عالم الكتب ، القاهرة ، د ط .
- 11- سمير شريف استيتية ، اللسانيات المجال و الوظيفة و المنهج 2008م ، عالم الكتب الحديث ، إريد ، الأردن ، ط2 .
- 12- Nicolai Trubetzkoy .principes of phonology. University of California press.english . éd.1962 .